خطبة عيد الفطر

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٣/٢٠

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

اليوم نحتفل بالعيد بعد أن شهِدنا رمضان، لكن يجب أن نحتفل به شكرا لله ﷻ على أنه وفَّقَنا في هذا الشهر للصيام والعبادة، كثيرون وُفقوا للتهجد وعدد لا بأس به من الناس حضروا صلاة التراويح، وكذلك وُفقوا لتلاوة القرآن الكريم بانتظام وختْمه والاستماع إلى دروس القرآن، حيث نُظِّم الدرس في فروع الجماعة، ووُفقوا لذكر الله أيضا، وبعضهم وُفقوا للاعتكاف أيضا. فنحن نعتكف حيثما تتوفر لنا الحرية، أما في بعض البلاد كباكستان، فيصعب علينا الاعتكاف لأننا هناك لا نستطيع العبادة، بمقتضى القانون. باختصار يجب أن ندعو الله ﷻ أن يهيء الوسائل عاجلا لرفع هذه القيود وذلك الحظر، لنستطيع أن نؤدي حق عبادة الله ﷻ في باكستان أيضا بحرية. باختصار إن ما بينته هو حصرا الهدف من قضاء أيام رمضان، فالذين لم ينشأ لديهم الاهتمام بنيل هذا الهدف في هذه الأيام، فإن العيد هو مجرد احتفال لهم، حيث ينحصر هدفهم في الاجتماع للفرحة وارتداء ملابس جديدة، والتمتع بالولائم فقط. مع أن ذلك كله ليس الغاية من العيد، وإنما العيد احتفال بالشكر لله ﷻ على أنه وفَّقنا للتضحية خلال هذه المدة، ووَفقنا لأداء حقوقه وحقوق عباده، ثم أمرَنا بأن نحتفل اليوم بالفرحة لأجل ذلك، لكي نشكره ﷻ. إنني أتوقع أن غالبية الأحمديين قد بذلوا قصارى جهودهم للانتفاع من بركات رمضان، لكي يزدادوا تقًى ورشدًا وهدًى وعبادةً لله، وينشأ لديهم الاهتمام بالحسنات، ومن أجل ذلك يجب أن نستعين بالله ﷻ دوما أن يوفقنا للمواظبة

على الحسنات والعبادات وأداء حقوق العباد التي وفقنا الله ﷻ لها، ليمر كل يوم لنا سعيا لأداء حق العبادة والعمل بتعليمه وسعيا لأداء حقوق العباد، ولا ينحصر في رمضان فقط.

لقد علَّمنا الله سورة الفاتحة في القرآن الكريم، وهدانا لنقرأها مرارا وتكرارا، حيث علَّمنا بقراءتها في كل ركعة من كل صلاة، فما سبب ذلك؟ إنما لتذكِّرنا دوما أن علينا أن نسعى جاهدين على الدوام لأداء حق عبادة الله وعبوديته والعمل بأحكامه.

لقد ذُكرت في الفاتحة صفات الله الأساسية، ومن هذا المنطلق فيها إظهار لشكره، وتوجيه الله لنا أن نبحث عن سبيل الهدى والانضمامِ إلى المنعم عليهم، ونطلب منه الملاذ من غضبه والضلال.

ونصحَنا الله في هذه السورة أن نركز على هدفنا هذا لإحراز الحسنات والفوز بأفضال الله ﷻ واتقاء عتابه وعقابه. فقد قال الله ﷻ في هذه السورة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نعبدك ربَّنا ونريد أن نعبدك ونعقد العزم على عبادتك لكننا لا نقدر على ذلك من دون فضلك ونصْرك، فأعنّا على ذلك.

بهذا الدعاء يصير اتكال المرء كليا على الله بحيث لا يخطر بباله ولا يمكن ذلك أنه نال هذه النعم ووُفق أو يوفَّق الآن أو يمكن أن يوفَّق في المستقبل للعبادة بسبب جدارة له. ومع ذلك طَلب الله ﷻ من الإنسان أن تكون المبادرة منه، ثم حين يسعى الإنسان للتوجه إلى الله، فقد قال النبي ﷺ إن الإنسان حين يتقرب إلى الله شبرا يتقدم الله إليه ذراعا، وحين يتقدم المرء إليه ذراعا يتقدم الله إليه باعا، وإن أتاه يمشي أتاه ﷻ هرولةً. إذن يجب أن نتذكر هذه النقطة دوما، أننا إذا أردنا الفوز للأبد بفيوض رمضان، فلا بد لنا من بذل الجهود من أجل ذلك، ولا بد لنا من التقرب إليه والمشي إليه بانتظام، وبذل المساعي والدعاء لنكون في حضنه ﷻ.

لقد فسر سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في مواضع شتى آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تفسيرا زاخرا بالمعارف، وأقدم لكم شيئا منه. فقد قال:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي إننا نعبدك وحدك يا ربنا ونسألك وحدك النصر. إن جملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تسبق جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي ذُكرت العبادة أولا والاستعانة لاحقا، لأن الإنسان يأتي الله تعالى موظِّفا كافة قواه عند الدعاء. (أي يستخدم القدرات البشرية والأسباب ثم يأتي الله. فهذا ما يجب على الإنسان وهذا هو الطريق الصحيح لأداء حق العبادة). ومن الوقاحة والإساءة أن يأتي المرء دون استنفاد قواه واستخدامه قواعدَ قانون الطبيعة. فمثلا لو دعا الزارعُ الله تعالى أن تخضرّ

مزرعتُه وتحمل ثمارا وأزهارا قبل أن يبذر البذور فيها فهذا تجاسر واستهزاء. (إذ لم ينجز عمله، و لم يبذر و لم يجهز الأرض وبدأ يدعو الله ﷻ أن يحمِّل زرعه ثمارا، فكيف يحدث ذلك؟ فلا بد من بذل المساعي)، وهذا ما يسمّى امتحان الله وابتلاءَه، الأمر الذي مُنع منه (أي أن لا يعمل الإنسان بنفسه شيئا ويدعو الله فقط أن يتحقق كذا. فقد نهى الله ﷻ عن بذل المساعي والعمل واستخدام الوسائل والتركيز على سؤال الله فقط، لأنكم في هذه الحالة تمتحنون الله وتختبرونه، وهو إثم كبير وقد نُهينا عن ذلك بشدة)، وقيل لنا: لا تمتحنوا الله. (أي قد قيل في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لا تختبروا الله ﷻ بل اعملوا). الحق أن الذي لا يستخدم الأسباب فهو لا يدعو الله بل يمتحنه، فلا بد من بذل الجهود كلها قبل الدعاء وهذا هو معنى هذا الدعاء. يجب على الإنسان أن ينظر إلى اعتقاده وأعماله أولا، لأنه من سنة الله أن الإصلاح يتم من خلال الأسباب (أي إذا استُخدمت أسبابٌ حصل الإصلاح، وإذا بُذل السعي فسوف يتحقق الهدف). فليفكر في هذا المقام أولئك الذين يقولون ما الحاجة إلى الأسباب مع الدعاء؟ يجب أن يتأمل هؤلاء الأغبياء قليلا في أن الدعاء أيضا سبب خفي بحد ذاته ويخلق أسبابا أخرى. إن تقدُّم جملة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على جملة الدعاء: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يشرح هذا الأمر بوجه خاص أن استخدِموا الأسباب ثم توكلوا على الله تعالى. فسوف يبارك الله في تلك الأسباب، واستعينوا بالله أن يبارك فيها باستمرار. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧ م، ص ١٤٥) فقد قال عليه السلام: إن هذا الجهد البشري ينبغي ألا يتوقف أبدًا. فلا يصحّ أن نقتصر على بذل الجهد في شهر رمضان وحده، ثم نحتفل بعيد الفطر ونظنّ أننا قد أدّينا ما علينا، وأن الله سيرزقنا كل شيء بعد ذلك. هذا فهمٌ خاطئ، ولا يليق بالمؤمن أن يكون على هذه الحال. بل الواجب عليه أن يظلّ موجّهًا اهتمامه على الدوام نحو السعي والعبادة، وذكر الله، والعمل الصالح، وأداء حقوق العباد؛ فحينئذٍ ينال الفيض الحقيقي.

ويظنّ بعض الناس أن ما بذلوه من جهدٍ وتضحية في رمضان يُوجب لهم على الله أن يُغدق عليهم فضله، إن لم يكن مدى الحياة فعلى الأقل إلى رمضان القادم. وهذه فكرة يحملها بعض الناس، وقد وُجد أمثالهم في كل عصر.

في عهد المصلح الموعود رضي الله عنه كان بعض الناس هكذا. فضرب مثالًا في إحدى خطبه، وكانت خطبة عيد، إذ روى قصةً من تجربته الشخصية. قال: كنت أقود الدعاء في ختام رمضان، فوصل إلى أذني صوت شخص يقول: "يا رب، أنت تعلم كم عانينا في سبيل الصيام من أجلك." قال المصلح

الموعود: مع أن المؤمن لا يستشعر المشقة وهو يمتثل لأوامر الله تعالى؛ فقد يتحمل شيئًا من التعب الجسدي، لكنه لا يعدّه معاناة، بل يخجل، وهو يُقدّم أشد التضحيات في سبيل الله، أن يرى نفسه قد قدّم شيئًا يُذكر. وإذا أمعنّا النظر فبأي مشقّة ضحّينا حقا في سبيل الله؟ هناك آلاف لا يجدون قوت يومهم ويُضطرون إلى الجوع، فكيف بمن أنعم الله عليه بالطعام ثم إذا صام زعم أنه تحمّل المشقة، إن في ذلك جحودا لنعم الله. هناك طرق كثيرة للدعاء والتضرع إلى الله، فما الحاجة إلى انتهاج أسلوب قد ينطوي على قلة الأدب يُغلق به الإنسان على نفسه أبواب فضل الله؟ واعلموا أن التوفيق للصيام إنما هو من فضل الله ومنّته. وحتى لو لم تكن نية ذلك الداعي خاطئة، فإن هذه الكلمات خرجت من فمه بسبب قِلّة العلم وعدم التدبّر. لذا ينبغي للإنسان أن يتأمل ويتدبّر حتى في دعائه، وأن يستخدم الألفاظ اللائقة في سؤاله الله تعالى.

وقد كتب المصلح الموعود ﷺ في تفسير ذلك: إن كنا قد صُمنا فما كابدنا مشقة بأنفسنا، بل إن الله أحسن إلينا إذ وفقنا لفعل الخير. وقال ﷺ: لو خطر ببالي أن أدعو في شأن الصيام لما قلتُ هكذا، بل لقلتُ: "يا رب، قد أعنتنا حتى تمكّنا من الصيام، فأتمم علينا هذا الفضل. يا رب، لقد أفضتَ علينا من فضلك طوال هذا الشهر، فأتّمه علينا في هذا العيد" أي: ليصلنا خير العيد أيضًا، وليتقبّل الله صيامنا الذي وفّقنا إليه بفضله، وليستمرّ فيض هذه البركات والخيرات حتى ننتفع بها في هذا العيد أيضًا. ثم قال ﷺ: إن هذا الدعاء جميل، وقد تكون نية ذلك الشخص حسنة، غير أنه أفسد صورة الدعاء بسبب قِلّة التدبّر وضعف التأمّل. فبدلًا من قوله "تحمّلنا المشقة في سبيل الصيام" لو قال: "يا إلهي كم أفضتَ علينا من فضلك إذ وفّقتنا إلى الصيام، فلا تَدَع هذا الفضل ناقصًا، بل أتمّه علينا وأرنا العيد" لكان ذلك دعاءً في أبهى صوره. فأعمال المؤمن مرهونةٌ بفضل الله وإحسانه، ولا يستطيع أن يُتمّها إلا بعونه.

باختصار، ينبغي لنا في هذا العيد أن ندعو قائلين: اللهم كما وفّقتنا للاحتفال بهذا اليوم بعد صيامنا، وأفَضتَ علينا من فضلك، فأرنا جميع ما يرتبط برمضان من أفراح، وأكرمنا بفرح حقيقي لهذا العيد. إن عيدنا الحق هو يوم نرى توحيدك وحُكمك راسخَين في الأرض. والمسلمون اليوم في حال يُرثى لها لا يجهلها أحد، فعيدنا الحقيقي يوم نرى هذه الحال المزرية تتحوّل إلى وقار وكرامة، ويوم نرى رسالة النبي ﷺ تتجذّر في قلب كل فرد على وجه الأرض، ويوم نرى مهمة خادمه الصادق

تتحقق، وشتاتَ القوى الدجّالية يتبدّد، ذلك هو العيد الحق، وهو عيد المؤمن، وإلا كانت ادعاءاتنا مجرد كلمات لا روح فيها.

فكما ذكرت لقد فسّر المسيح الموعود عليه السلام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في مواضع كثيرة تفسيراً مفيضًا بالمعرفة العميقة. وقال في أحد هذه المواضع مقدّمًا بعض جوانبها المختلفة:

"قدّم الله عز وجل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةً إلى تفضلاته الرحمانية من قَبْل الاستعانة، (وأحد المعاني الكامنة في هذا التقديم هو إشارة إلى فيوض صفة الله الرحمانية) فكأن العبد يشكر ربه ويقول يا رب إني أشكرك على نعمائك التي أعطيتني من قبل دعائي ومسألتي وعملي وجهدي واستعانتي بالربوبية والرحمانية التي سبقت سُؤْلَ السائلين، (أي إني أشكرك على النعم التي أنعمت بها عليَّ، والتي فاقت كل طلباتي ومسألتي، فدعائي هذا إزاء تلك النعم شيء لا يُذكر، أي إن ربوبيتك ورحمانيتك تفوق كثيرًا محتوى سؤال السائلين وطلب الطالبين، فأنك أغدقت عليّ بنعمك قبل استعانتي بك، وأعطيتني كثيرًا جدًّا حتى قبل أن أدعوك وأطلب منك. لقد أفضتَ عليَّ بفيوض رحمانيتك وربوبيتك قبل أن أسأل، فأشكرك عليها. فمن المعاني الكامنة في تقدمها أنها تولّد في النفس رغبةً نحو الشكر) ثم أطلبُ منك قوةً وصلاحًا وفلاحًا وفوزًا ومقاصد لا تُعطَى إلا بعد الطلب والاستعانة والدعاء وأنت خير المعطين.

(أما هذا فقد أعطيتني إياه بربوبيتك وبإعانتك، ولكن الآن أتضرع إليك أن تهبني كل أنواع القوة، وأن تجعلني سالكاً على طريق الصدق، وأن تجعلني أنعم بالدوام بالسعادة والتوفيق والنجاح، وأن تحقق لي مقاصدي الصالحة، لأنك خير المعطين. هذا هو معنى ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وبما أنني قد نعمت بالكثير من فيوض رحمانيتك وربوبيتك، فإنني عند عبادتي لك الآن أطلب منك وأستعين بك أن تهديني إلى الصراط المستقيم، وأن تنعم عليَّ بالسعادة والنجاح، وأن تحقق لي مقاصدي. وأدعوك يا إلهي أن تعطيني كل ما هو نافع لي في حياتي، وأن تهبني النعم التي تقربني إليك، حتى أصبح من الشاكرين لك مرة أخرى. لأنه إذا توجه الإنسان إلى الله، توجّه نحو شكره من جديد.)

وفي هذه الآيات حثٌّ على شكرِ ما تُعطى، والدعاءِ بالصبر فيما تتمنى، وفرطِ اللهج إلى ما هو أتمّ وأعلى، (وبذلك يا أيها الإنسان! رغّبك الله تعالى في الدعاء من أجل تحقق الأماني للحصول على النعم، وذلك) لتكون من الشاكرين الصابرين (على الدوام).

وفيها حثٌّ على نفي الحَول والقوة، (أي لا حول لنا ولا قوة فيما عندنا لأنه كله عطاء من الله تعالى) والاستطراح بين يدي سبحانه مترقبًا منتظرًا مديمًا للسؤال والدعاء والتضرع والثناء، والافتقار مع الخوفِ والرجاء، كالطفل الرضيع في يد الظئر[1]،والموتِ عن الخلق وعن كل ما هو في الأرضين. (وفيها نقطة أخرى، وهي أن يحمد الإنسان الله تعالى بأقصى درجات التواضع والانكسار، ويلقي بنفسه بين يديه كما يلقي الرضيع نفسه في حجر أمه أو مرضعته، وهذا هو الهدف الأصلي من الدعاء. فإن فعلتم ذلك وحققتم هذا الهدف، فستستطيعون عندئذ الوصول إلى إدراك عمق معانيها. ولتحقيق ذلك، يجب على الإنسان أن يترك اعتماده للانتفاع على أمور الدنيا وأسبابها، فإن الانتفاع بالأسباب أيضًا يحتاج إلى العون من الله تعالى، فاستعينوا بالله تعالى وحده.) وفيها حثٌّ على إقرارٍ واعتراف بأننا الضعفاء، لا نعبدك إلا بك، ولا نتحسس منك إلا بعونك، بك نعمل وبك نتحرك، (أي كل حركتنا وسكوننا منوط بعونك) وإليك نسعى كالثواكل متحرقين وكالعشاق متلظّين. (وهذه النقطة هامة جدًّا ويجب أن نتذكرها دومًا) وفيها حثٌّ على الخروج من الاختيال والزَّهْو، والاعتصام بقوة الله تعالى وحوله عند اعتياص[2] الأمور وهجوم المشكلات، والدخول في المنكسرين. (فإذا تولد هذا التواضع في النفس، نشأ فيها التوجه الحقيقي نحو الدعوات، ولا يتحقق هدف استجابة الدعوات أيضًا -كما يقوله الله تعالى- إلا عندما يسقط الإنسان في حضن الله تعالى. فالتواضع والانكسار أمرٌ هام وضروري) كأنه - تعالى شأنه - يقول يا عباد احسَبوا أنفسكم كالميتين، وبالله اعتضِدوا كل حين. فلا يَزْدَهِ الشابُّ منكم بقوته، ولا يتخصّر الشيخ بهراوته (ويعتبرها سندًا له ويمكنه المشي متوكئًا عليها)، ولا يفرح الكَيِّسُ بدهائه، ولا يثق الفقيه بصحة علمه وجودة فهمه وذكائه، ولا يتّكئ الملهَم على إلهامه وكشفه وخلوص دعائه، فإن الله يفعل ما يشاء، ويطرد من يشاء، ويُدخل من يشاء في المخصوصين.

وفي جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى عظمة شرّ النفس الأمّارة التي تسعى كالعَسَّارة (أي الناقة غير الأليفة التي يصعب السيطرة عليها. فنحن بعد بذل كل الجهود واستخدام الأسباب وعبادة الله تعالى، نستعين به بقولنا ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لكي يحفظنا من كل الشرور، لأن الشر يحول دون توجه النفس نحو الخيرات والطاعات. ومثال الناقة غير المروضة كان معروفًا عند العرب، أما في هذا العصر فمثاله الخيول غير المروضة التي لا تدع الراكب يركبها ولا تبقى تحت السيطرة. وكذلك الشيطان

[1] الظئر: المُرضعة
[2] اعتياص: اعتاص الأمر أي اشتدّ وتعقّد وصعب حله

يثور ويتمرد)، فكأنها أفعى شرُّها قد طَمَّ، فجعَل كلَّ سليم كعظم إذا رَمَّ، (إن الأفعى تهشم عظام صيدها وتجعلها كالرميم) وتراها تنفث السمَّ (أي إن الشيطان ينفث السم مثل الأفعى. ثم ضرب حضرته مثالا آخر فقال:)، أو هي ضرغامٌ ما ينكُل إن هَمَّ، ولا حولَ ولا قوة ولا كسب ولا لَمَّ، إلا بالله الذي هو يرجم الشياطين. (فإذا واجه الإنسان مثل هذا العدو الذي يهاجم، فإن قوة الله تعالى وحدها تُنقذ الإنسان وتحفظه، وهذا هو حال المسلمين اليوم بالضبط، يجب أن يلتجئوا إليه وحده. فمن الضروري للإنسان أن يردد ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ باستمرار ليحفظ نفسه من الشياطين والشرور والمعاصي، ويستفيض بالحسنات. ولن يتحقق لنا العيد الحقيقي اليوم أيضا إلا حين نُبعد عنّا الشيطان تمامًا، ونلجأ إلى ملاذ الله تعالى، ونستعين به مرة بعد أخرى بقول ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ثم إنه عليه السلام وضّح هذا الأمر في موضع آخر كما يلي:)

وفي تقديم ﴿نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ نكاتٌ أخرى... (ما هي تلك النكات؟) وهي أن الله جل جلاله يعلّم عباده دعاءً فيه سعادتهم، فيقول يا عبادِ سَلُوني بالانكسار والعبودية، وقولوا: ربنا إياك نعبد ولكن بالمعاناة والتكلف والتجشم وتَفْرقة الخاطر وتمويهات الخنّاس وبالرويّة الناضبة والأوهام الناصبة والخيالات المظلمة، كماءٍ مُكدّرٍ من سَيْل أو كحاطب ليل، وإن نتّبعُ إلا ظنًّا وما نحن بمستيقنين. (إن حالتنا هي أننا لا نملك شيئًا. ندّعي أمورا ولكن حالنا في الحقيقة كالماء الكدر الذي لا يُرى فيه شيء، ولا يصلح استخدامه لأي غرض، ولا ينفع الإنسان. فنحن نحتاج إلى أن نكتسب اليقين حتى نستفيض من بركات الله تعالى. فإن تفسيرًا آخر لـــــ ﴿إياك نَعْبُدُ﴾ هو أننا نعبدك، غير أننا لا نملك شيئًا، ونحن خاضعون أمامك بأقصى درجات التواضع، لأن وساوس وأفكارًا خاطئة وأوهامًا مدمرة قد حطّت رحالها في نفوسنا، فنحن غارقون في أوهام مختلفة –بعض الأقوام يعانون من مرض الأوهام بشدة– فلا ننعم بالسكينة والطمأنينة، وحالتنا هي كماء السيل الكدر، الذي لا يُرى فيه الطريق ألبتة. فكرة وجود الله تعالى متواجدة عندنا، ولكن تنقصنا التجربة. ونسعى للحصول على هذه التجربة، فأعنا في ذلك، إذ لم تظهر بعد في داخلنا الآية الواضحة والمشرقة لذات الله تعالى التي كان ينبغي أن تظهر، فأظهرها يا إلهي في داخلنا. فإننا نعبدك حتى تظهر في داخلنا تلك الآية، ولهذا نستعين بك. إن حالتنا حتى الآن هي أننا آمنا فقط بالأمور المسموعة والمروية، ولكننا نريد أن نحصل على التجربة الشخصية أيضًا، وأن نحظى بإلقاء منك، وأن نرى مشهد قبول دعواتنا، وأن نحصل على ثمار عبادتنا، ولذلك نستعين بك قائلين: اللهم أوصلنا إلى

تلك الحالة التي ندرك فيها حقيقة عبادتك. ثم أوصانا بقول:) ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني: نستعينك للذوق والشوق والحضور والإيمان الموفور، والتلبية الروحانية والسرور والنور، ولتوشيح القلب بحُلي المعارف وحُلل الحبور، لنكون بفضلك من سبّاقين في عرصات اليقين، وإلى منتهى المآرب واصلين، وفي بحار الحقائق متوردين. (أي نخرج من الماء الكدر فنصبح سابحين في بحر الماء الصافي، ونرى في كل جانب تجلي نورك ومعرفتك. عندما تتحقق هذه الحالة حقيقةً، فإنها ستكون حياة النجاح للإنسان، وحياة النجاح للمؤمن. ثم قال حضرته موضّحًا أكثر:)

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تنبيه آخر، وهو أنه يرغّب فيه عبادَه إلى أن يبذلوا في مطاوعته جُهْدَ المستطيع، ويقوموا مُلبّين في كل حين تلبيةَ المطيع. فكأن العباد يقولون: ربنا إنّا لا نألو في المجاهدات، وفي امتثالك وابتغاء المرضاة، ولكن نستعينك ونستكفي بك الافتنانَ بالعُجب والرياء، (نعوذ بك من كل أنواع التصنع والتكلف والرياء. ولا نريد أن يكون فينا أي نوع من الرياء أو التباهي، ولا التكلف، بل تكون عباداتنا حقيقةً لأجلك وحدك. لذلك نستعين بك أن تخلق فينا هذه الحالة بحيث تصبح جميع عباداتنا لأجلك حقًا، ويصبح خضوعنا إليك ولأجلك وحدك.) ونستوهب منك توفيقًا قائدًا إلى الرشد والرضاء، وإنّا ثابتون على طاعتك وعبادتك، فاكتُبْنا في المطاوعين.

(يجب أن نتحلى بمثل هذا الثبات والمداومة، لا أن يقضي الإنسان أيامًا قليلة في رمضان فيظن أنه قد أكمل جميع العبادات. بل ينبغي أن يتحلى الإنسان بالثبات والاستقامة والمداومة، وأن يظل دائمًا خاضعًا إلى الله تعالى. وبعد كل هذا يتمكن من أداء حق العبودية على وجهها.)

وهنا إشارة أخرى وهي أن العبد يقول يا ربّ إنّا خصصناك بمعبوديّتك، وآثرْناك على كل ما سواك، فلا نعبد شيئا إلا وجهك، وإنّا من الموحِّدين...

(ولقد أشار الله تعالى في هذه الآية) إلى أن الدعاء لجميع الإخوان لا لنفس الداعي، وحثَّ فيه على مسالمة المسلمين واتحادهم ووِدادهم، وعلى أن يعنو الداعي نفسه لنصح أخيه كما يعنو لنصح ذاته، ويهتم ويقلق لحاجاته كما يهتم ويقلق لنفسه. (فإذا نشأت مثل هذه الفكرة فينا، فسنكون ممن يهتمون بإخوانهم في أيام العيد أيضا، والذين يخطون نحو التصالح وتصفية الحسابات السابقة؛ ولن نبتعد عن بعضنا البعض بسبب الشكاوى الصغيرة والاعتراضات التافهة، بل سنكون من الذين يريدون النصح والخير لبعضنا البعض. فكما يريد الإنسان الخير لنفسه ويبذل الجهد ويتحمل المشقة في سبيل ذلك، وكما يتعب للحصول على الخيرات والحسنات لنفسه، كذلك ينبغي أن يبذل الجهد

لأخيه. قال حضرته بأن الله تعالى علّمنا في هذا الدعاء أن يجهد المرء في سبيل إيصال الخير لأخيه كما يبذل الجهد والمشقة في نيل الخير لنفسه، ويسعى لخير أخيه ويحسن معاملته، ويهتم بتلبية حاجاته ويقلق عليه كما يقلق على نفسه ويضطرب لها. فإذا تحقق هذا الأمر أصبح كثير من الأغنياء أيضا يهتمون بالفقراء، وبالتالي ستصبح الأعياد حقيقية لهؤلاء الفقراء أيضا الذين لا يسعهم الإنفاق على أنفسهم نتيجة البؤس الذي يعانونه، والفقر والفاقة التي يصابون بها. فإذا كنا ندعو لهؤلاء دعاء: ﴿إياك نَعْبُدُ﴾ فسنكون مؤدين حقوق العباد أيضا إلى جانب أداء حق العبادة. إن هذا الأمر من العبادة ذاتها، ولذلك ينبغي أن نستعين بالله تعالى لأداء هذا الحق أيضًا. قال حضرته:)

ولا يفرّق بينه وبين أخيه، ويكون له بكل القلب من الناصحين. فكأنه تعالى يوصي ويقول يا عبادِ تَهادوا بالدعاء تَهادِي الإخوان والمحبّين. (وكذلك أهدُوا بعضكم بعضًا هدية الدعاء. هذا أيضًا مما عُلّم في هذا الدعاء. فإن تبادل الهدايا يزيد المحبة، ولذلك فإن هدية الدعوات أيضا ضرورية لزيادة المحبة. وإذا أقمنا الروابط بيننا من خلال الدعوات، فإن الله تعالى سيمنّ علينا بأفضال لا تُحصى، إذ يجعلنا وسيلة لمساعدة الفقراء من جهة، ومن جهة أخرى ينعم علينا بأفضاله الكثيرة والجزيلة، قال حضرته:) وتَناثَثوا دعواتكم[٣] وتَباثَثوا نيّاتكم[٤]، وكونوا في المحبة كالإخوان والآباء والبنين."

وهذا العمل سيشكل جوا جميلا ومجتمعا رائعا، وهكذا يجب أن يكون المجتمع الأحمدي الذي يجب أن نسعى لتأسيسه، وهكذا يجب أن يكون سلوك المسلم، وهكذا يجب أن يكون المجتمع المسلم. ليت البلاد الإسلامية أيضا تدرك هذا الأمر، وتخرج من الحروب والصراعات التي هم واقعون فيها. يريد العدو أن يجعلنا نتقاتل فيما بيننا، ليستغل هذا الوضع ويجني الفوائد. ولن نستطيع الخروج من هذا الوضع إلا إذا تحاببنا على هذا النحو. كنت قد ذكرت ذلك في خطبة الجمعة قبل أسبوعين مفصلا وبينتُ كيف أن العدو يريد استغلال وضعنا، وقد أخذ يستغله الآن كما بدأ هؤلاء هم أنفسهم يقولون ذلك. على كل حال، إذا عملنا بهذه المبادئ صارت أعيادنا أعيادا حقيقية، وعندها لن نتمتع بفيوض العيد فحسب، بل سوف نسعى لنجعل أعزتنا وأقاربنا وأحبابنا وذوي الحاجة يتمتعون بفيوضه، وبالتالي سوف يترل علينا مزيد من أفضال الله باستمرار.

وبهذا الصدد قد ذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ واقعة وقعت معه. قال: عندما كنت عائدا من الحج في السفينة، قال لي قبطانها إن نائبي راغب في الإسلام فأرجوك أن تأتي إلي للحديث معه.

---

[٣] تناثثوا دعواتكم: أي انشروها واكثروا منها، كأن الدعاء يتناثر في كل اتجاه
[٤] تباثثوا نياتكم: أي اظهروا نياتكم الصادقة وشاركوها

والحق كان عند القبطان أيضا رغبة ضئيلة في الإسلام. فذهبت إلى غرفته بإذنه إذ لا يمكن لكل واحد أن يدخل غرفة القبطان إلا إذا دُعي. فعرّفني على آلات السفينة وأخبرني كيف تعمل، ثم قدم لي الشاي، ثم قال إن نائبي راغب في الإسلام ويريد أن يسلم، وأريد أن يصير مسلما على يدكم. قال حضرة المصلح الموعود: فأحسست أن كلامه مشوب بالمزاح أكثر، وأنه ليس جادا فيه بل هو يمازح، و لم يكن هدفه البحث عن الحق، ولا يريد معرفة الحقيقة. على كل حال، ظل يسألني عن شتى القضايا. ثم قال لي القبطان لقد جئتَ من الحج حالا، لذا فيجوز لك الآن أن تعمل ما يحلو لك؟ قلت: كيف يجوز لي أن أعمل الآن ما يحلو لي؟ قال إن لوحك قد صار صافيا نقيا الآن، فيجوز لك الآن ارتكاب ما تشاء من الذنوب الجديدة. قلت له ضاربًا هذا المثال. قلتُ: مَن لبس لباسا جديدا هل يحافظ على ثيابه الجديدة أكثرَ أم على ثيابه المتسخة القديمة. قال طبعا سيكون أكثرَ حذرا على ثيابه الجديدة لكيلا تتسخ. قلت له فكيف تشير عليّ أن أوسخ لباسي الجديد الذي نلته نتيجة الحج. (يقول حضرته إني أجبته أني رجعت من الحج، وهذا لباس جديد، وهو أحق بأن أعمل الصالحات بدلاً من أن أظن أن ذنوبي السابقة ما دامت قد غُفرت فلا بأس أن أظل أرتكب المزيد من الذنوب. كلا بل علي أن آتخذ كل خطوة بحذر أكثر. فبضرب هذا المثال، قال حضرته إن المؤمن إذا وُفّق لفعل الخيرات فعليه أن يكون أكثر حذراً، بدلاً من أن يصاب بالزهو والغرور.) بعد صيام رمضان وقيامه أو العبادات الأخرى يجب ألا نظن أن واجبنا قد انتهى. إذا كنا لم نكسب أي خير و لم نعمل أي خير في رمضان فأي فخر في ذلك، وإذا كنا قد كسبنا بعض الخيرات في رمضان فنحن بحاجة أشد للحفاظ على هذا الكنز لكي لا يسرقه سارق. ثم قام حضرته بتوضيح الأمر أكثر فقال: انظروا إن السارق يقتحم دائما المكان الذي فيه الكنز، وإذا كنتم قد فعلتم خيرا وجمعتم كنزا، فهل تظنون أن الشيطان لن يهاجم هذا الكنز الآن. إذا كنتم لم تكسبوا شيئا في رمضان، ففخركم عبث، وإذا كنتم قد كسبتم شيئا فاعلموا أنه عرضة للسرقة حتما. الآن قد صار في بيتكم كنز، وسيسعى الشيطان لسرقته يقينا. والمراد من السارق هنا الشيطان. لم يكن عندكم شيء من قبل، ولكن الآن قد صار في أيديكم كنز روحاني نتيجة رمضان، وهناك خطر الهجوم عليه من قبل السارقين والنشالين، وسوف يسعون لسرقته، وإن لم يستطيعوا سرقته، فسوف يسعون لإشعال النار في بيوتكم لكي يضيع هذا الكنز، لذا من واجبكم أن تكونوا أكثر حذرا، وأن تدعوا الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بقوة أكثر وأن تحافظوا على كنزكم بعناية أكثر. لقد بيّن المسيح الموعود

عليه السلام بضرب أمثلة عديدةٍ معانيَ واسعة لقول الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، لذا فإذا قمنا بالعبادات فعلينا أن نعمل على حمايتها أيضا. وإذا كنا قد فعلنا بعض الخيرات فمن واجبنا الآن، لمواصلتها وللشكر عليها، أن نعبد الله أكثر ومن ثم نستعين به أكثر قائلين ربنا وفقْنا لهذه العبادات في المستقبل أيضا مداومين ومثابرين عليها، ولأن نستعين بك لكيلا يهاجمنا الشيطان أبدا، ولكيلا تضيع هذه العبادات والخيرات التي كسبناها في رمضان، ولنحظى بفيوض العيد حقا، ولا يسرق كنوزنا سارق.

فإذا كان هذا تفكيرنا، فحينها فقط ستكون أعيادنا أعيادًا ناجحة. وكذلك تذكّروا هذه الحقيقة: إننا اليوم نحتفل بفرحة العيد، لكن السعادة الحقيقية كما ذكرتُ، إنما تكمن في طاعة أوامر الله تعالى. ومع ذلك، ينبغي لنا دائمًا أن نتذكر حال المسلمين اليوم؛ ففي كثير من البلدان حيث تسود الفتن والفساد والحروب، الناس يصلّون صلاة العيد ليؤدوا واجبهم، لكن بيوتهم قد دُمّرت بسبب الهجمات الظالمة وأصبحت خالية. فهناك طفل حُرم من والديه، وهناك والدان حُرما من أبنائهما، وهم يعيشون في حالة خوف دائم.

نسأل الله تعالى أن يُيسّر لهم الأمور، وأن يوفّقهم ليكونوا عبادًا صادقين له حقًا، لا يميلون إلا إليه وحده، ولا يعتمدون على آلهة الدنيا الزائفة. إن هذا الاعتماد على تلك الآلهة الدنيوية هو السبب فيما يحدث اليوم في البلاد العربية، فلا يكونوا من أتباعهم، حتى ينالوا الحرية في الدنيا ويتمكنوا من أداء حق عبادة الله تعالى.

ندعو الله تعالى أن يحفظهم من ظلم الظالمين، ويحفظ أيضًا جميع أفراد الجماعة المنتشرين في أنحاء العالم، وكما قال المسيح الموعود عليه السلام، علينا أن ندعو لإخواننا وللإنسانية جمعاء، ونردد دائمًا: إياك نعبد وإياك نستعين، فبذلك تُستجاب دعواتنا أيضا. وعندما تُستجاب دعواتنا، سنرى العالم يتجه نحو الله تعالى وتحت راية النبي محمد ﷺ. وعندما نشهد هذا المنظر، ستكون تلك هي سعادتنا الحقيقية.

وعندما نرى مهمة المسيح الموعود عليه السلام تتحقق، فحينها فقط سيكون عيدنا الحقيقي. نسأل الله تعالى أن يرزقنا ذلك، حتى نرى الفتن في العالم تزول، ونرى راية محمد رسول الله ﷺ مرفوعة في كل مكان، ونرى توحيد الله تعالى منتشرا في العالم. نسأل الله تعالى أن يرزقنا التوفيق لهذه الدعوات، وأن يجعل هذا العيد مباركًا لنا جميعًا دينيًا ودنيويًا. وعلينا أن نستمر في الدعاء لذلك، حتى لا يكون

قول ''عيد مبارك'' مجرد كلمات، بل يكون عيدًا مباركًا حقيقيًا لنا جميعًا. وفي بعض البلدان سيكون العيد غدًا، نسأل الله أن يوفقهم للاحتفال به بخير وعافية، وأن يحفظهم من كل شر، خاصة في باكستان.

الخطبة الثانية.

الآن سندعو. وكما قلتُ، تذكّروا الجميع في دعائكم. تعالوا ندعو.

(الدعاء) آمين

السلام عليكم ورحمة الله